انتبهوا.. البيئة فى خطر!

كيف تمكن حماية البيئة المصرية من التلوث الذى يهددها كل يوم.. ويجعلنا نستنشق هواء ملوثا.. ونشرب المياه الحالية من بعض الأملاح المعدنية الهامة لتكوين أجسامنا.. وتتحمل أضرار المبيدات الحشرية فى النباتات والحيوانات والطيور؟.. للإجابة عن هذا السؤال الهام.. تقدمت د. فرخندة حسن عضو مجلس الشعب بطلب مناقشة هذه الظاهرة الخطيرة التى تسبب لنا أضرارا جسيمة.

محمد المصرى

وعضو مجلس الشعب عندما اثير قضية تلوث البيئة تحت قبة البرلمان.. فإنها تضيء أمامنا الضوء الأحمر لنرتفق قليلا أمامها ونقول لها: انتبهوا أيها السادة.. البيئة المصرية فى خطر.. وانهيار مستمر!.. ولابد من العلاج الحاسم والسريع من مجلس الشعب.. الذى يجب أن يتبنى هذه القضية.. ويصدر التشريعات البيئة التى تناسب التطور التكنولوجى

ود. فرخندة حسن من أكثر العلماء دراسة لهذه الظاهرة الخطيرة بحكم عملها رئيسا لقسم الطبيعة بالجامعة الأمريكية.. وهى فى البداية تقول لنا: إن الحياة ما هى إلا توازن بين الإنسان والبيئة المحيطة به من يابس وماء وهواء.. وهذه الكائنات الحية.. تنشأ بينها علاقات أخذ وعطاء.. ويؤثر كل منها فى الآخر.. وتحدث جميعا حالة من التوازن الطبيعى.. وأى خلل فى هذه المكونات.. يكون له رد فعل.. وبالتالى يجب علينا ملاحظة هذا الخلل مع المكون الآخر.. أو إصلاحه.

وأن التعريف العلمى للتنمية المتفاعل السليم بين كل هذه المكونات.. وعندما نطبق هذه التعريفات العلمية على الواقع.. فإننا نجد أنه لو حدث أى تغيير – وهى الكلمة العلمية الشاملة لمعنى التلوث – فى هذه المكونات.. فإنه بلا شك تكون النهاية هى القضاء على الإنسان (الحياة) نتيجة هذا الخلل فى التوازن.

فمثلا عندما يحدث تغيير فى التربة الزراعية نتيجة استعمال الأسمدة والمبيدات الحشرية.. فإنها تحدث تغييرا (تلوثا) فى خصائص هذه التربة بخلق أو انعدام بعض العناصر فيها.

وتطبق د. فرخندة حسن هذه الأمثلة على الأراضى الزراعية فى مصر. فتقول: لقد أثبتت الأبحاث العلمية أن زيادة استخدام المبيدات الحشرية أدى إلى زيادة نسبة بعض العناصر غير المرغوب فيها.. وسببت الأورام السرطانية فى كبد الحيوانات.. وبالتالى انتقلت للإنسان.. وأن هذه الزيادة ارتفعت عن المعايير التى تحددها الصحة العالمية.

وتؤكد أن انخفاض بعض العناصر اللازمة للتربة أو زيادة بعض العناصر غير المرغوب فيها.. تؤدى إلى إفساد طبيعة الرقعة الزراعية.. وتسبب تملح التربة الزراعية.. وهذه الظاهرة بدأت فى الانتشار فى مصر.

□ وبالنسبة لتلوث المياه تؤكد عضو مجلس الشعب أنه حدثت تغييرات كبيرة فى مواصفات مياه الشرب فى الأنهار.. وهذا ما بدأنا ملاحظته فى مياه النيل.. فقد انخفضت بعض العناصر اللازمة فى المياه.. وكما يحدث فى التربة الزراعية بإضافة الأسمدة الكيماوية إليها.. لتعويضها عن العناصر التى فقدتها بسبب التلوث.. فإنه سيجىء اليوم الذى نحتاج فيه إلى إضافة بعض الأملاح المعدنية إلى مياه الشرب للمحافظة على مكونات جسم الإنسان.. وهذا ما نقصد به العلاج أو الملاءمة!

وتوجه عضو مجلس الشعب أصابع الاتهام إلى بعض المصانع حول حلوان وكفر الزيات.. لأنها تستخدم مجرى نهر النيل كمصرف لها.. وأن هذه المصانع تلقى عوادمها ومخلفاتها فى النيل.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن هناك تغييرا شديدا ومفاجئا لمواصفات مياه النيل فى هذه المنطقة بالذات.. وهذا ما سوف أركز عليه فى طلب المناقشة فى مجلس الشعب.. بالإضافة إلى استخدام البحر المتوسط.. وبحيرة مريوط كمصرف للمجارى بالإسكندرية.. وقد أدى ذلك إلى إعدام وقلل الأسماك. كما أن عوادم السفن الكبيرة أدت إلى تلوث المياه هناك. وترى عضو مجلس الشعب أن تلوث المياه هو أخطر أنواع التلوث.. لأن المياه.. متحركة.. وتنتقل من مكان لآخر.. وهذا فإن الأضرار أشمل وأكبر.. بعكس التلوث فى التربة الزراعية.

□ وتنتقل د. فرخندة حسن إلى نوع آخر من التلوث.. ويعتبر كما تقول من أخطرها جميعا لأن التلوث يدخل إلى رئة المواطن المصرى مباشرة.. وهو تلوث الهواء.. فالهواء الذى نستنشقه حاليا أصبح ملوثا بعوادم السيارات وأبخرة المصانع.. ونتيجة لذلك فقد ارتفعت نسبة الرصاص فى جسم الإنسان.. وهذا مؤشر خطر قد يقضى عليه ويبدد حياته.

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الإصابة بحالات الربو والنزلات الشعبية المزمنة.. كما هو ملاحظ بين سكان المناطق الصناعية.. كما أن احتراق الوقود باستمرار.. أدى إلى زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو.. وهذا له أثر سيىء على الكرة الأرضية كلها.

وترى د. فرخندة حسن عضو مجلس الشعب أن كل هذه التغييرات التى تحدث فى البيئة العالمية لم تكن طبيعية.. فإن الإنسان يستطيع معالجتها أو يتلاءم معها.. أو يتحكم فيها.. حتى لو قضت عليه.. فهى ليست يده.. ولكننا نلاحظ أن هذا الدمار الذى يحدث كل يوم هو من صنع الإنسان.. وأنه هو الذى يقتل نفسه بنفسه.. نتيجة هذا التقدم الصناعى والتكنولوجى.. فهذا التلوث هو الضريبة التى يدفعها الإنسان من صحته وحياته!!.

والسؤال الهام الآن.. ما هو الحل؟..

هل نعود بعقارب الساعة إلى الوراء.. ونستغنى عن التكنولوجيا.. حتى نستطيع أن نستنشق هواء نظيفا.. ونحتفظ بأجسامنا سليمة خالية من الأمراض؟!.

ترى عضو مجلس الشعب أن هذا بالطبع لن يحدث قطعا.. ولكن يجب علينا العلاج.. وإنقاذ البيئة المصرية من هذا الدمار.. وتبدأ هى نفسها بتقديم الحلول والاقتراحات

فتقول: إن الحل يجب أن يبدأ أولا من مجلس الشعب.. الذى يجب أن يصدر تشريعا خاصا بحماية البيئة.. وأنى سأتقدم بمشروع قانون.. لحماية البيئة المصرية من هذا التلوث.. ويتلاءم مع التطور التكنولوجى الشريع الذى نعيشه الآن.. ويوجد حاليا قوانين لحماية البيئة.. ولكنها لم تعد تصلح لحمايتها.. لأن هذه القوانين صدرت عامى ١٩٤٤ و١٩٦٢!.

وتضيف: إن القانون الجديد يجب أن يؤكد على ضرورة التحكم فى إلقاء مخلفات المصانع.. وتجريم كل من يلقيها فى نهر النيل.. سواء أكانت كميات كبيرة أم صغيرة.. وهذا دور مجلس الشعب.. بصفته سلطة تشريعية.

كما يجب أن يحدد المتخصصون أماكن إنشاء المصانع الجديدة.. بالنسبة لحركة الرياح.. حتى لا نقع فى الخطأ مرة ثانية.. مثلما حدث فى مصانع شرا الخيمة التى أنشئت فى «الجهة البحرية».. للقاهرة أو ما حدث فى منطقة حلوان بإنشاء العديد من مصانع الأسمنت والحديد والصلب فى هذه المنطقة السياحية العالمية.. والتى تعتبر مثوى عالميا.. ولا يخفى على أحد ما سببته المصانع من تلوث فى المنطقة سواء على المواطنين أو الجو المحيط بها.

أما بالنسبة لواجب العلميين فى هذه القضية الخطيرة.. سواء فى الجامعات أو مراكز الأبحاث.. فهو دراسة المشكلة من جميع جوانبها العلمية والعملية.. وتقديم الحلول والاقتراحات للمسئولين والجهات التنفيذية..

وقد نبأ العلميون منذ فترة بهذا الخطر الذى يصيب العالم حاليا من وراء التلوث.. وشعروا بالقلق.. تجاه ما يحدثه التلوث.. وقاموا بالتنبيه لهذا الخطر القادم.. ولكن لم تبدأ الأجهزة فى التحرك إلا بعد وقوع الخطر وتزايد الإصابات بين المواطنين!

□ □

كانت هذه أهم العناصر التى سوف تثيرها د. فرخندة حسن عضو مجلس الشعب حين تعرض أهم قضية علمية تشغل بالها.. وتركز كل جهودها للبحث عن حل لها عند المسئولين كل فى قطاعه.. وذلك قبل أن تنهار البيئة المصرية يوما بعد يوم.. وحتى لا تكون أنت نفسك الضحية الأولى لهذا التلوث!.

د. فرخندة حسن